الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

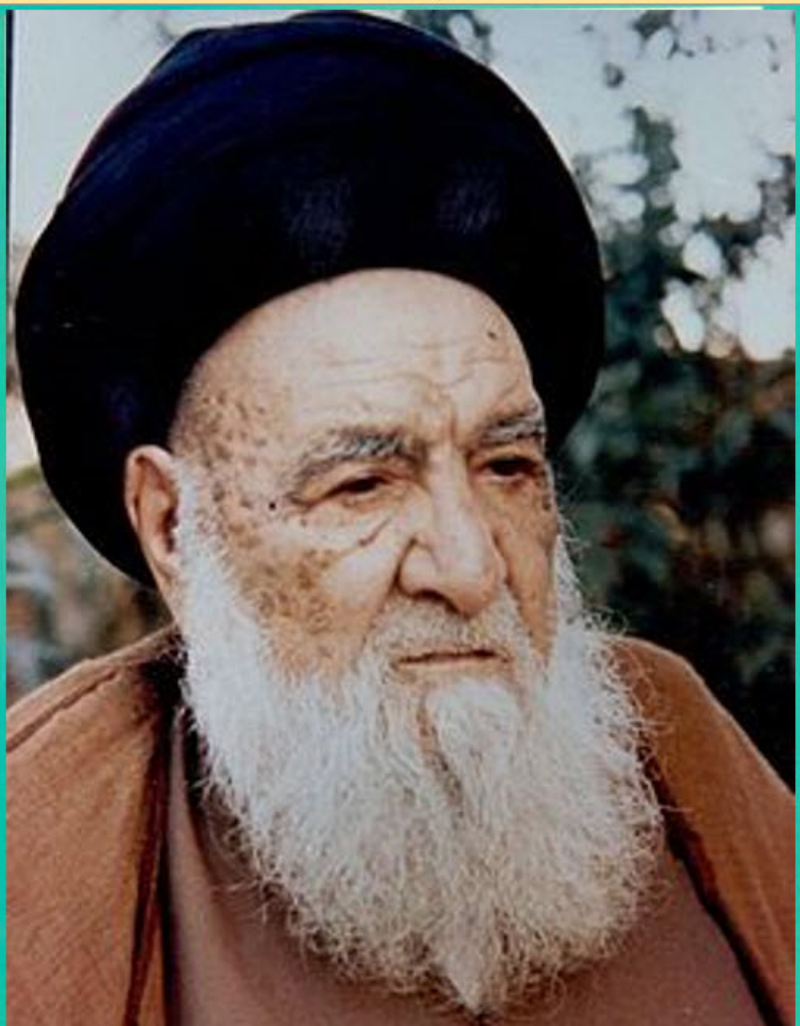

آرشيو مخطوطات
خزانة رخامي دار الحديث
٢١٢٣٠

الإصلاح

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

قراءة في مقدمة التفسير للامام الخوئي (قده)

"البيان" يفنّد الاباطيل حول القرآن

الدكتور صالح عضيمة

بحث الامام الخوئي (قده) في مقدمة تفسيره امهات المسائل التي قامت حول القرآن المجيد والتي بقيت محط جدال وتنافس شديدين منذ القرن الاول الهجري ، بل منذ التحاق الرسول الاعظم (ص) بالرفيق الاعلى .

ونريد ان نسمي الآن هذه المسائل التي بحثها واستأثرت باهتمامه ثم نختار منها اشهرها واكثرها صعوبة ودقة . فنوليها بعض الاهتمام ، لنرى ما ورائها من استنباط او استخلاص او اجتهاد . وهذه هي : فضل القرآن . وقد بحث فيه منزلة القرآن وكشف عن قيمته واعتباره وعلو شأنه. ثم اعجاز القرآن . وفي هذه المسألة بحث المؤلف (قده) معنى الاعجاز ثم ابان عن أوجهه المختلفة وفصل في طرائقه التي كان العرب يقولون بها ، والتي تجاوز شأوها القرآن المجيد وتفوق عليها . ثم اضواء على القراء ونظرة في القراءات . وهما مسألة واحدة ذات شعبتين ، تحدث المؤلف في الشعبة الاولى منهما على حياة كل من القراء العشرة . وتكلم على مصادره ومنابعه التي استقى منها . وتحدث في الثانية منهما على القراءة التي اختارها كل واحد منهم ، وانتهى بعد محاكمتها الى الحكم على سندها بالضعف وعلى قيمتها واعتبارها بالوهن والتوهين . ثم يلتفت المؤلف (قده) ، بعد ذلك ، فيشغل بمناقشة فريدة لقصة نزول القرآن على سبعة احرف ، ويعالجها معالجة حكيمة ينتهي بها الى نتيجة حكيمة مماثلة سنتعرض لذكرها بعد قليل . وينتقل الى بحث تحريف القرآن بكثير من الجرأة والصراحة والدقة ، وينتهي الى القول بصيانته من التحريف . ثم يبحث مسألة جمع القرآن وما ورد فيها ، ويبحث حجية ظواهر القرآن ، ويأتي بعدها على مسألة النسخ في القرآن ومعانيه واسبابه وما فيه من الحكمة والصواب ويقارن بينها وبين النسخ في الكتب الاخرى للاديان الاخرى . وبعد ان يأتي على بحث البداء في التكوين وما يرشح اليه من معان ، ينتقل الى بحث اصول التفسير والى القرآن ، هل هو حادث ام قديم ؟ ويختم كتابه رحمه الله بتفسير فاتحة

الامام الراحل في مكتبته

الكتاب بطريقة فريدة لم نتعرف على مثلها في تفسير آخر .

ولو نتفحص اسلوب المؤلف في كل مسالة من هذه المسائل لوجدناه اسلوباً واحداً ، يجمع الروايات المعتمدة ، ثم يقارن بينها ويوازن من حيث السند ، ثم يعود فيقارن ويوازن من حيث المتن ، ثم يحاكم المعنى الى القرآن والى العقل . يضع ذلك كله من غير ان يشعر بتعب ولا ملل ، حتى ينتهي الى الحكم الذي ترضى العدالة له ان ينتهي اليه . ونحن مع كل حكم من هذه الاحكام ، لا نشعر ان قوة السند وحدها التي تعينه ولا نصاعة المتن.

على ان غزارة العلم وحدها لا تكفي للاقناع ، وان فن التاليف وحده ايضاً لا يكفي لارشاد العقل وتفتيح وعيه ، وان قوة الحجة قد لا تنهض بايصال التصديق الى الروح ولا تاذن بالانشراح ، فلابد اذن من شيء آخر ، يكون مع هذه الاشياء كلها او مع واحد منها ، وهو ايمان المؤلف بما يقول وسطوع روحه ولهفته في احرفه وكلماته حتى لتكاد تلامس روح القارئ ولهفته وتماسكه على نفسه واطمئنانه الى صدق ما عنده والى قوة قوله حتى يسد على القارئ جميع الاطراف والمنافذ فلا يعود يعرف كيف يخرج ويرى نفسه انه اصبح اسيراً للكاتب .

ففي مسالة نزول القرآن على احرف سبعة ، يعرض الروايات القائلة بانه نزل على سبعة احرف ، يدرسها رواية رواية ، ثم يرفضها جملة وتفصيلاً ، ثم يبين ان نزول القرآن على اكثر من حرف واحد لا يعود الى معنى معقول ولا يقود الى اعتقاد صحيح . وبعد ذلك يلتفت الى الوجوه العشرة التي ذكروها تفسيراً للاحرف السبعة فيأتي على كل وجه منها بالبحث والمعالجة حتى ينتهي الى اظهار فساده . وهكذا يأخذ بيدنا المؤلف الامام بنقاوة قلمه وقوة حجته ونصاعة ايمانه وليونة جانبه ، حتى يجعلنا نؤمن معه بهذه النتيجة التي خلص اليها بشأن هذه المسالة ، وهي قوله «انّ نزول القرآن على سبعة احرف لا يرجع الى معنى صحيح ، فلابد من طرح الروايات الدالة عليه ولا سيما بعد ان دلت احاديث الصادقين (ع) على تكذيبها ، وان القرآن انما نزل على حرف واحد وان الاختلاف قد جاء من قبل الرواة» .

اما في مسالة تحريف القرآن ، فهو يقطع قطعاً جازماً ، بأن القرآن لم يلحق به تحريف لا من قريب ولا من بعيد ، ولا بشكل مباشر ولا غير مباشر . لكنه لم يعمد الى اعلان هذا الرأي الا بعد ان اتى على الروايات المتصارعة فيما بينها في مسالة التحريف ، فأورد منها ما يوحي بالتحريف ، ثم رده الى اصله ، وابان ان الايحاء فيه الى التحريف هو نوع من التأويل ، وليس بالضرورة ان يكون صحيحاً ، ولا هو جدير بالعناية والالتفات . واورد منها ما يصرح بالتحريف واكد بالقرائن القاطعة ، انها لم تكن تعني نص

"نزل القرآن على حرف واحد ولكن الرواة اختلفوا"

القرآن الموجود كما هو عليه اليوم ، وانما هي نوع من التفسير او التأويل او بعنوان التنزيل .

ونرى اننا لابد ان نعمد الى بعض التفصيل في الايضاح ، ليتاح لنا ان نتمتع اكثر بروحانية المؤلف الامام (قده) . فقد اورد ما رواه الكافي ، باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام ، قال : «ما يستطيع احد ان يدعي ان عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء» . وباسناده عن جابر قال : سمعت ابا جعفر يقول «ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما انزل الا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى الا علي بن ابي طالب والائمة من بعده عليهم السلام» .

وليس من شك ، بأن هذا الكلام هو تصريح عن نقص القرآن الذي بين ايدينا وعن تحريفه . وانه لتصريح تقشعر له الجلود ! فكيف واجهه المؤلف الامام ، واستنبط من روحه ، انه لايعني تحريف القرآن ، ولا يمس متنه وروحه بأذى او سوء ؟ لقد قال واطال في القول ، وكل قوله طيب وجميل ، طيب الله ثراه : «ان وجود مصحف لامير المؤمنين عليه السلام بغاير القرآن الموجود في ترتيب السور ، مما لا شك فيه ، وتسالم العلماء الاعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لاثباته . كما ان اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود ، وان كان صحيحاً الا انه لا دلالة في ذلك على ان هذه الزيادات كانت من القرآن ، وقد اسقطت منه بالتحريف . بل الصحيح ان تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التاويل ، ومايؤول اليه الكلام ، او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد» . ثم يلتفت الى شرح التاويل والتنزيل ، بطريقة تدخل الصدق واليقين الى الروح ، بانه اقام الدليل على ان هذه النصوص لم تذهب الى القول بالتحريف والاعتقاد به . وينهي كلامه على هذه الشبهة بقوله «ان وجود الزيادات في مصحف علي عليه السلام ، وان كان صحيحاً الا ان هذه الزيادات ليست من القرآن ومما امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغه الى الامة . فان الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل مضافاً الى انه باطل قطعاً . ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الادلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن» .

وهكذا هو شأن الامام المؤلف في كل مسالة ، انه يعالجها كما يعالج الطبيب قصاده ، ويعاملها كما يعامل العاشق معشوقه ، بلطف ولين وصفاء اسلوب واشراق نفس طيبة طاهرة . وقد جاءت هذه المقدمة التي كتبها على تفسير كان ينوي له ان يأتي ضافياً كاملاً ، بين تفاسير القرآن المجيد ، مثل مقدمة ابن خلدون على تاريخه الكبير بين المؤرخين وكتاب التاريخ . انها كانت فريدة في علوم الاجتماع والتمدن والتاريخ وهذه فريدة في بحث اهم مسائل القرآن المجيد واصعب مشكلاته .